

(جَبَلُ الْفِيلِ عُلَاك)

قَصَّةُ الشَّعْرِ كَانَتْ مِثْلَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِكَ مَعَ الْفِيلِ

كَقَصَّةِ الْفِيلِ وَالْعَمِيَانِ كَانَتْ

بَعْضُهُمْ رَسَمَ حَقِيقَتَهُ بِلَامَسَّةِ يَدٍ، بِجَرَّةٍ قَلَمٍ هَوَاهُ

بَعْضُهُمْ نَقَلَ تَمَوُّرَ لَامَسِي شَيْءٍ مِنْهُ

تَمَوُّرَ لَامَسِيهِ الَّذِي لَا بَصَرَةَ لَا بِصِيرَةٍ فِيهِ

أَرَأَيْتَ أَعْمَى يُبْصِرُ مَا تُبْصِرُ

أَرَأَيْتَ أَضَلَّ مِنْ نَاقِلِ تَمَوُّرٍ أَعْمَى

مِنْ مُتَعَصِّبٍ لَهُ ذَلِكَ التَّعَصُّبُ

أَتَصَدِّقُ مَنْ يَقُولُ لَكَ إِنَّ الْفِيلَ جَذَعُ شَجَرَةٍ

إِنَّ الْفِيلَ مَكْدَنَسَةٌ، إِنَّ سَهْ أَعَى

أَتَصَدِّقُ مَنْ يَقُولُ لَكَ إِنَّ الشَّعْرَ مُحَضُّ صُورَةٍ، مُحَضُّ غَمُوضٍ

محض لغةٍ تَتَدَفَّقُ مِنْ مَنْطِقَةِ اللاوعي

محض كلماتٍ لا ينبغي أن تُفْهَمَ مِنْ قَبْلِ جَيْلٍ قَائِلِهَا

ولا مِنْ قَبْلِ الْجَيْلِ الَّذِي يَلِيهِ وَالَّذِي يَلِي مَا يَلِيهِ

ويقولُ لَكَ إِنَّ الْقَصِيدَةَ فِيلٌ وَكُلُّ مُتَلَقٍّ بِهَا عَمِيَانٌ

ويقولُ لَكَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا مِنْهُمْ

ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ أَعْمَى خَرَجَ بِقِرَاءَةٍ

وَالْقَصِيدَةُ لَا يَصِلُ جَيْلٌ مِنْشِئَهَا إِلَى حُلْمِ قِرَاءَتِهَا

حتى قراءةٍ واحدةٍ لا ينبغي أن تكون

فالشَّعْرُ لغةٌ فوقَ اللغةِ

فوقَ المعنى، فوقَ معنى المعنى

فوقَ وعيِ مَنْ قَالَ وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ

هكذا يتفَوَّهَ مَنْ هُوَ أَضَلُّ مِنْ نَاقِلِ تَخَيُّلاتٍ أَعْمَى

مَنْ هُوَ مُتَعَصِّبٌ لَهَا ذَلِكَ التَّعَصُّبُ

إِنَّهُ مُجَرَّدٌ نَاقِلٌ تَخَيُّلاتٍ أَعْمَى تَلْمِيسَ جُزْءٍ فِيلٍ

إِنَّهُ ، إِنَّهُ ، أهُوَ موجودٌ حقًّا حتى يُقالَ إِنَّهُ .. !

لَيْتَهُ كَانَ موجوداً عندَ جَدَلِ فِيلٍ عُلَاكٍ

لَيْتَهُ يَقْوَى عَلَى اصطحابِ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ

مِمَّنْ تَلْمِيسَ جُزْءٍ فِيلٍ يُسْتَطَاعُ تَلْمِيسُهُ

أَفْبُوسُ عِ أَعْمَاهُ أَنْ يَصَلَ إِلَى قِمَّةِ جَدَلِ الْفِيلِ

أَمْ بَوْسُوعِهِ ، وَهُوَ مُجَرَّدٌ نَاقِلٌ تَخَيُّلاتٍ أَعْمَى

مهلاً ، مهلاً ، فَجَدَلُ فِيلٍ عُلَاكٍ يَقُولُ لَهَا هَذَا هَذَا مَنبَعُ الشَّعْرِ

وَيَقُولُ إِنَّ فِيلَ الْعِمِيَانِ يَتَضَاعَلُ أَمَامَ فِيلِ جَدَلِ عُلَاكٍ

يَتَضَاعَلُ هُوَ وَعَمِيَانُهُ ، وَهُمْ وَمَنْ نَقَلَ بَانِبَهَارٍ عَنْهُمْ

جَدَلُ عُلَاكٍ شَامِخٌ وَهُوَ يَفْتَرِشُ رِمَالَهُ الذَّهَبِيَّةَ

جَدَلُ عُلَاكٍ يَقُولُ لَكَ وَحْدَكَ تَرَانِي

وَحْدَكَ تَعْتَلِي قِمَّتِي ، قِمَّةَ عُلَاكٍ

قِمَّةَ الشَّعْرِ الْحَيِّ النَّابِضِ

قِمَّةَ الحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يُخْتَلَفُ عَلَى عُلُوِّهَا فِي عُلاكَ

فِي عُلَا جَزِيرَتِكَ الَّتِي اسْتَحَالَتْ كُلُّ حَبَّةٍ رَمْلٍ فِيهَا مَوْضِعَةً شِعْرٍ

كُلُّ مَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِهَا لَمْ يَكُنْ سِوَى مَوْضِعٍ قَصِيدَةٍ يَزْخَرُ بِالْإِحَاءَاتِ

حَتَّى الرَّبْعُ الْخَالِي تَشْهَدُ رَمَالُهُ الْبِكْرُ بِذَلِكَ

حَتَّى نَخْلُ بَيْشَةَ، حَتَّى مَا نَزَّجُو بَيْشَ

حَتَّى الضَّبَابُ الَّذِي يُرَبِّتُ عَلَى أَكْتَافِ جِبَالِ سُرَوَاتِكَ

حَتَّى جَبَلُ تَوْبَادِكَ، حَتَّى جَبَلُ قَارَتِكَ، حَتَّى جَبَلُكَ الْأَسْوَدُ حَتَّى مَمْ شَاه

حَتَّى نَعْنَاعُ طَايِدَتِكَ، حَتَّى جَاكَرِنْدَا أَبْهَاكَ

حَتَّى مَاءُ بئرِ غَرْسٍ، حَتَّى عَسَلُ رِضْوَاكَ

حَتَّى وَدْيَانُ جَزِيرَتِكَ الَّتِي يَتَأَمَّلُهَا جَبَلُ فِيلِ عُلاكَ

حَتَّى عَنْتَرَةُ حِينَ يَدْلُسُهُ لَمْعُ السِّيفِ عَلَى مَبْذُومٍ مُنْذَاهُ

حَتَّى شَفَا طَائِفِكَ حَتَّى هَذَاكَ

حَتَّى حَائِلُ حَاتَمِكَ أُسْطُورَةُ الْجُودِ

حَتَّى هَذَا الْوُجُودُ الَّذِي سَيُقْبَلُ عَلَى مَا خَبَّأَتْهُ جَزِيرَتُكَ لِكُلِّ شُعْرَاءِ الْكَوْنِ

مَا خَبَّأَتْهُ لِإِنْسَانِكَ، لِلْإِنْسَانِ

لِلشَّعْرِ الْحَيِّ النَّابِعِ مِنْهُ

مِنْ شَغَفٍ يَتَدَفَّقُ عَشَقًا

يَتَدَفَّقُ دَهْرًا، آمَادًا

يَتَدَفَّقُ مِنْ عَمَقِ الْوَجْدَانِ.